

## المقدمة والتمهيد

فى عصرنا الحالى التى تختلط فيه المفاهيم والرؤى ويتكاثر العدوان والتقاتل والتناحر بين البشر تبرز أهمية التعرف إلى الرؤية المنطقية الصحيحة التى تؤكد نبذ (الإسلام) للفكر الإرهابى الذى يشجع قتال جماعة لأخرى، مهما كانت الأسباب، مما ينادى بالبشر عن مشاعر الأخوة، والمحبة والتسامح، والتعايش الآمن.

وقد أكدت الأديان السماوية جميعها هذه الرؤية، والإسلام باعتباره خاتم الأديان أكد فى كتابه العظيم، «كتاب الله القرآن الكريم»، كل هذه المعانى النبيلة كما أن النبى (محمدًا) ﷺ أكد فى أحاديثه وفى سنته على مناهضة العدوان، والإرهاب وقدم فى حياته، وفى دعوته للإسلام الصورة الصحيحة (للجهاد)، والتى اتبعها السلف الصالح من بعده.

ويحاول بعض المغرضين إلصاق التهم بالإسلام والتأويل الخاطئ لبعض آيات القرآن الكريم الخاصة بالجهاد، وإغفال أن الإسلام دين الرحمة، والتسامح، والسلم، والتعايش وأن الجهاد فى الإسلام دفاع، عن الدين والوطن، والعرض، وقد طرح هذه الرؤية الحقيقية للجهاد فى الإسلام كثير من المفكرين والكتاب المنصفين، من المسلمين وغير المسلمين، الذين يدعون إلى فهم صحيح للإسلام وقيمه، ومواقفه التاريخية، وحضارته الأصيلة.

وكلمة «الجهاد» مشتقة من جذر «ج. هـ. د» وهي تعنى بذل الوسع. والكلمة تحمل معنى آخر وهو بذل الإنسان كل ما فى وسعه وطاقته وتحمله المشاق فى سبيل الوصول إلى هدف معلوم.

وقد كَسَبَ مفهوم الجهاد ميزة بظهور الإسلام إذ صار عَلَمًا على تحقيق إيصال الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بإزالة العوائق<sup>(١)</sup>.

و«الجهاد الأكبر» هو بذل الجهد والسعى فى تعلم القرآن الكريم والافتداء بأوامر الخالق سبحانه، والانتهاه عن نواهيه وتعلم سنة رسول الله ﷺ وما أثر من أقواله وأفعاله ومجاهدة النفس حتى تصفو الروح، وتسمو الأخلاق ويكون الإنسان من المُفلحين السُّعداء فى الدنيا والمُنعمين بالجنة فى الآخرة.

أما «الجهاد الأصغر» فهو جهاد الأعداء، الذين يبدأون بالعداء وقتال المسلمين، وظلمهم، وتهديدهم والاعتداء عليهم.

فى الجزء الثالث من القسم الأول من الكتاب الهام للأستاذ (فهى هويدى) الإسلام والديمقراطية تحت عنوان (آيات السيف).

يعرض الأستاذ هويدى لآراء بعض من أبرز فقهاء مصر فى القرن الأخير فى موضوع (الجهاد فى الإسلام) من خلال تفسير كل منهم لآيات (سورة التوبة) من منطقته ورؤيته الخاصة وكذلك (سورة الأنفال)، وقد رأى أن الأستاذ (سيد قطب) تفرد بتفسيره الذى قال هويدى عنه: «لولا المكانة الخاصة والبارزة التى يحتلها مفكرنا الكبير، ولولا تأثيره

---

(١) محمد فتح الله كولن - إعلاء كلمة الله أو (الجهاد) - دار النيل للثقافة والنشر ط ١ ص ٩١ سنة ٢٠٠٦.

المرصود على قطاعات عريضة من الإسلاميين لعدُّ كلامه في هذه النقطة شذوذاً لا تنبغى الإشارة إليه فضلاً عن مناقشته»<sup>(١)</sup>.

ويرى الأستاذ هويدى: «أن تأويل النصوص القرآنية من البعض أسهم بدور لا يُنكر في صنع الإشكالية وتلغيم علاقة المسلمين بغيرهم».

وذلك أنه ثمة لغم زرعه البعض في الطريق الذى يصل بين المسلمين والآخريين اسمه (آية السيف).. هي ليست آية فيه بل هي آيات ثلاث يجمع بينها أنها وردت في سورة التوبة»<sup>(٢)</sup> وهي:

﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٥]

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٢٩]

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا قَاتَلْتُمُوهُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٣٦].

(١) فهمى هويدى - الإسلام والديمقراطية - مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٣ ص ٣١.

(٢) فهمى هويدى - الإسلام والديمقراطية - مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٩٣ ص ٣١.

أما الأستاذ (سيد قطب) فقد رأى أن (سورة التوبة) في مجملها تشكل منعطفاً حاسماً في طريق علاقة المسلمين بغيرهم، المنعطف هو الآية (٢٩) التي تقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ في تفسير الظلال) ج٣ ص١٥٦٤.

ويؤكد أن النصوص الخاصة بالمسألة، ورفض العدوان، والحرب الدفاعية ما هي إلا (تكتيك) إسلامي مؤقت، بينما الاستراتيجية، هي تلك التي أنزلت في (سورة التوبة) ومن قبلها (سورة الأنفال) التي تناولت قضية (الجهاد)...

وعالج الأستاذ قطب في تفسيرها ما أسماه المنهج الإلهي في (الجهاد المطلق).

ومضى في تفسير آيات (سورة التوبة) من منطلقه هذا..

ومن المهم التأكيد أن أبرز فقهاء مصر في القرن الأخير، من محمد عبده، ورشيد رضا إلى الشيخ محمد الغزالي، مروراً بالشيخ الخضري، وشلتوت، وعبد الوهاب خلاف ودراز، اجتمعوا على الاختلاف مع أفكار قطب عن الجهاد. لذا كانت رؤية قطب وحيدةً متناقضةً.

فالشيخ رشيد رضا صاحب المنار: يشير إلى أن آية السيف تتراوح بين الآية الخامسة من سورة التوبة الداعية إلى قتال المشركين بعد انتهاء الأشهر الحرم والآية ٣٦ التي تدعو إلى قتال المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة، ويستشهد بما قاله السيوطي. من أن أيّاً من الآيتين ليس ناسخاً لغيرهما من الآيات التي تتناول علاقة المسلمين بالمشركين، ولكن كلاّ منهما تقرر حكماً يسرى في ظرف معين.

وانحاز (الشيخ رضا) إلى الرأى القائل بأن الدعوة إلى مقاتلة المشركين هى رد على مبادأة المشركين بالقتال، وأن المقصود بالآيتين مشركو جزيرة العرب وليس كل مشركى الأرض.

وفى تعليقه على الآية (٢٩) الخاصة بأهل الكتاب فإن (صاحب المنان) وشيخه (الإمام محمد عبده) يذهبان إلى أنها لا تمثل ذلك المنعطف الحاد الذى عبّر عنه الأستاذ (سيد قطب) من حيث إنها نزلت فى قتال أهل الكتاب، وأن نزولها جاء تمهيداً للكلام فى (غزوة تبوك) مع الروم من أهل الكتاب بالشام والخروج منها فى زمن (العسرة والقيظ) فضلاً عن أن المقصود بها ليس كل أهل الكتاب ولكن فريق منهم له شروط أربعة معينة ذكرتها الآية الكريمة، هنا يذكر (الشيخ رشيد) نقلاً عن الإمام (محمد عبده) أن القتال الواجب فى الإسلام إنما شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها ولذلك اشترط فيه أن يقدم عليه الدعوة إلى الإسلام.

ويعقب على الآية قائلاً: إنها تعنى قاتلوا - هذا الفريق من أهل الكتاب - لكن الحقيقة التى يؤكد هذا الكتاب أن الرسول ﷺ وصحبه الكرام، ثم السلف الصالح من المسلمين الأوائل، قاموا بفتح العديد من البلدان والأمصار، ونشر الدعوة الإسلامية دون لجوء إلى القوة أو القهر أو العدوان وإنما الثابت من خلال كتاب الله العظيم، «القرآن الكريم»، ومن سنة النبى محمد ﷺ، ومن أقواله وأفعاله التى أثرت عنه، أن انتصار الإسلام، وقوة حضارته اعتمدت على اهتمامه بالقيم الأخلاقية، والضوابط الإنسانية وهذا ما أكده الكُتَّاب والمُؤرِّخون على امتداد التاريخ.

لقد اعتمد (الجهاد فى الإسلام) على الإقناع والحجة والمنطق، واهتم بتكريم الإنسان، مهما كانت بلته دون إكراه أو إجبار، واحترم عقائد الشعوب التى فتحت بلادها.

إن المنهج الصادق العظيم الذى حملة الإسلام للبشرية يضمن للإنسان أن يعيش آمناً فى حياته ويقربه من كل ما يريح قلبه ويطمئن نفسه ويبعده عن الشقاء والمتاعب. فالإنسان الذى يأتmer بأوامر الإسلام وينتهى عن نواهيه يصون نفسه ويزكيها. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ آبَاءَكُمْ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا وَاصِحًا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة مائدة: ١٢٣).

أرجو أن أحقق من خلال هذا الكتاب رؤية الإسلام للسعادة التى يقدمها للبشرية من خلال الفهم الصحيح والتطبيق العملى للجهاد الأكبر والجهاد الأصغر كما ورد فى الكتاب العظيم (القرآن الكريم)، والسنة النبوية المطهرة.

\*\*\*